ايمار(تل مسكنه)
نظرة في أهميتها الحضارية
في ضوء التنقيبات الاثارية

أ.د. هديب حياوي عبد الكريم غزالة*

ملخص البحث

اذت ايمار دوراً حضارياً واضحاً في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد وهذا مايمكن ان نستشفه من خلال ورود ذكرها في النصوص المسمارية المكتشفة في ايبلا التي تعود الى النصف الثاني من الألف الثالث ق.م. اذ ارتبطت معها بعلاقات تجارية لكونها كانت تمثل ميناءاً مهماً على الفرات في منطقة الشمال السوري ، كذلك فقد اشارت نصوص ماري من الألف الثاني ق.م. الى اهمية ايمار التجارية مما كان سبباً للقيام بحملات عسكرية عليها من قبل بعض ملوك ماري لضمها لسلطتهم .

يتناول البحث تأريخ التنقيبات في (تل مسكنه) منذ عشرينات القرن الماضي من قبل الألمان ثم ماقام به الفرنسيون من مسوحات اثارية في حملة انقاذ اثار الفرات عام ١٩٧١ اذ تم الكشف عن أربعة عشر لوحاً مسمارياً مكتوبة باللغة الاكدية ومن خلالها تم التعرف على ان تل (مسكنه) يمثل مدينة ايمار الواردة في نصوص ايبلا وماري ، كما تم الكشف عن طبقات اثارية تعود الى العصر االبرونزي الحديث (١٦٠٠ – ١٢٠٠ ق. م) وتضمنت اثاراً وشواهد مهمة منها دينية ومنها مدنية وهذا ما تطرق اليه البحث موضحاً أهمية موقع هذه المدينة الستراتيجي ومالعبته من دور تجاري وحضاري مهم في منطقة الشمال السوري لكونها شكلت مع كركميش البوابتين الأكثر على تقاطع الطريقين السوري _ العراقي ومحطتين مهمتين في حوض الفرات السوري الشمالي ، كما تضمن البحث توضيحاً الى اهم نتائج التنقيبات التي جرت في المدينة والتي قامت بها جامعة حلب بالتعاون مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية وجامعة توبنجن الألمانية .

* رئيس قسم الآثار – كلية الآداب – جامعة بابل

مقدمة

يرى الباحثون الآثاريون إن نشأة المدن تكون نتاج لتفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية ، فكانت طلائع المدن القديمة قد حافظت على علاقاتها التقليدية بالزراعة التي نجدها في التجمعات السكانية الأولى التي أصبحت قرى زراعية فيما بعد ، ومن ثم مدناً يمكن ان نطلق عليها (المدن الزراعية) إذ ان المصدر الرئيس لغذائها ومعيشتها يأتي من الأرض التي حولها ، لهذا كان احد ضوابط التحضر في تلك المدن هو القرب من مورد مائي ، لذا فان نشوء المدن ونموها على طول الأنهار كان شيئاً طبيعياً ومنطقياً لاستعمال مياه الأنهار للزراعة وللنقل التي تقدمت وسائله فيما بعد لتسهل من عملية التبادل التجاري وهذا التطور أدى إلى التقليل من اعتماد المدينة على مواردها المحلية واتساع نفوذها الاقتصادي والاجتماعي والسياسي[١] ، لذلك فليس من المستغرب ان تبدأ أولى الحضارات القديمة ومدنها الأولى على ضفاف الأنهار الكبيرة ومنها الفرات الذي نشأت عليه مدنٌ عديدة في القطرين اللذين يوحدهما حضارياً وهما العراق وسورية ومنها مدينة (ايمار) ، وقبل الحديث عن هذه المدينة لابد لنا من لمحة موجزة عن الفرات أولاً لأن هذه المدينة أخذت أهميتها من موقعها على هذا النهر.

أهمية نهر الفرات

كانت وما زالت لهذا النهر أهمية تاريخية كبيرة لكثرة المدن التي أقيمت على ضفتيه لخصائصه الطبيعية التي تمتع بها .

يبلغ طول مجرى النهر حوالي (٢٤٠٠كم) من منبعه إلى مصبه في الخليج العربي ، أما طوله في الأراضي السورية حوالي ٦٨٠كم وتشكل مياهه ٩٠% من مجموع مياه سورية[٢] ويطلق على الأراضي الواقعة إلى يمينه اسم الشامية وتعرف الأراضي الواقعة إلى يساره باسم الجزيرة ويحتفظ هذا النهر بتسميته منذ القدم[٣] فورد في النصوص المسمارية بصيغة (pi^5- ir- tum) [٤] وبصيغ اخرى[٥] .

---

[١] الموسوي ، مصطفى عباس ، العوامل التأريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٤١.

[٢] عياش ، عبد القادر ، حضارة وادي الفرات ، ط٢، دمشق ، ١٩٩٩، ص ١٤.

[٣] طوير ، قاسم ، عدد خاص عن الندوة الدولية لتاريخ دير الزور واثارها ، الحوليات السورية ، دمشق ، ١٩٨٣ ، ص٥١.

[٤] ورد اسم هذا النهر في النصوص المسمارية بالعلامات :انظر : MDA,No.172 I7 pi5 ir tum

[٥] جاءت التسمية بصيغة بوارنن(Buranun) ، أو بورونا (Burununa) ويرادف ذلك في اللغة الأكدية لفظ بوراتي أو بوراتم(Puratum) (Parati)، ومنه الصيغة العربية الفرات لأن (P) تقابل باللغة العربية حرف (ف) والتمويم يقابله التنوين فتصبح الكلمة متطابقة في اللغتين الاكدية والعربية تعني الرافد ،الفرع،الماء العذب. وللمزيد عن قواعد اللغة الأكدية انظر :
سليمان عامر ، اللغة الأكدية ، الموصل ، ١٩٩١.

لقد قامت بين الإنسان والأمكنة علاقات عمقها في نفسه بوسائل كان بعضها يصل إلى منزلة التقديس عنده ، ولذلك فان أحواض الأنهار كانت منذ أقدم الأزمنة مسرحاً لعدد من أقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية ومنها نهر الفرات الذي بنيت على ضفافه مدن عديدة في العراق وسورية لأنه يجري في ضفاف منخفضة وفي انحدار قليل بخلاف نهر دجلة ، كما يتميز الفرات بهدوء جريانه وببطئه من المنبع إلى المصب مما يجعله أكثر ثباتاً من نهر دجلة وهذا جذب السكان للاستقرار في حوضه[٦]، ولكن لهذا النهر صفة تميز بها وهي تغيير مجراه عدة مرات ، مما كان سبباً في خراب الكثير من مدنه ومنها ايمار موضوع بحثنا[٧]، وآثار جريانه من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيل دهشة المصرين القدماء فوصفوه ((ذلك الماء الدوار الذي يجري نزلاً بجريانه صُعداً)) وهذه يمكن تفسيرها بـ((ذلك الماء المعكوس الذي يجري نزلاً بجريانه نحو الجنوب)) [٨].

وبسبب تغيير مجرى هذا النهر بعد كل فيضان كبير نظراً لطبيعة الأرض الهشة التي يسير فيها ، مما جعل من إمكانية الاستقرار على طول ضفتيه أمراً ليس ثابتاً تماماً ، فابتعاد الفرات عن مجراه السابق يعني حرمان مواطن الاستقرار البشري من الماء الذي هو أهم أسباب الحياة ، ولمجابهة هذا الوضع يتحتم على سكنة ضفاف النهر سحب المياه بواسطة الاقنية من مجرى الفرات الجديد وهذا يعني انكماش الأراضي المزروعة ومن ثم تحول المدن المزدهرة المستقرة إلى قرى مهجورة وإذا لم يتم فتح القنوات وحفر الآبار فلابد عندئذ من اللحاق بالمجرى الجديد لاختيار المكان الملائم للاستقرار[٩]، ولذلك فاننا نرى ان هناك مدناً عديدة نشأت في حوض الفرات في شماله حتى جنوبه ، ونظراً إلى ان الإنسان كان يلاحق مجرى النهر بحيث ان هذا التغيير في مجراه ترك لنا في حوضه مئات التلال الآثارية وبقايا وإطلال المدن التي كانت قد سكنت والقليل منها ما زال قائماً على احد ضفتيه وهي المدن المبنية على هضبة

---

[٦] عياش ، عبد القادر، "مشاركة مدن الفرات في سوريا" ، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام ، عمان، ١٩٧٤ ، ص ٢٦٠.

[٧] شعث ، شوقي ،" ايمار / بالس / مسكنة " التنقيبات الاثرية السورية المشتركة بين جامعة حلب والمديرية العامة للاثار والمتاحف ، حلب ، ١٩٩٣، ص٧. وحول ظاهرة تغير مجرى الفرات انظر: خروفه،نجيب،تحولات انهار العراق واثرها على العمران ،بحث مقدم الى ندوة الري عند العرب،جامعة بغداد،١٩٨٦ ،ص١ ومابعدها .

[٨] فرانكفورت ، هـ ، وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، ط٢، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٥٠

[٩] الهاشمي، تغريد جعفر وحسن حسين عكلا،الانسان تجليات الازمنة،ط١،دمشق ، ٢٠٠١ ،ص ٢٩.

صخرية صلدة كدورا- اربوس(Dora Europos)[١٠] أو الرابضة فوق خانوقة كحلبية وزلبية[١١] على عكس المدن الأخرى الواقعة في الزور اللحقي[١٢].

لم يقتصر الفرات على نشوء الزراعة وتوفير أسباب الاستقرار بل كان عصباً مهماً للمواصلات وطرق التجارة التي كانت سبباً في ازدهار مدن وممالك عديدة على ضفتيه[١٣].

ويمكن القول ان الفرات يمر بسبع مناطق سورية مهمة هي : منطقة جرابلس، منطقة عين العرب ، منطقة منبج والرقة ومركز دير الزور ومنطقة الميادين ثم البوكمال[١٤] لهذا كانت تلك المناطق وخصوصاً المناطق الشمالية من المناطق المهمة الواقعة على طرق التجارة مع آسيا الصغرى وكان الأكديون والآشوريون يحرصون عليها وحاول المصريون ذلك للأسباب نفسها[١٥]،كذلك كانت الصلات التجارية معروفة بين هذه المناطق والبابليين ولاسيما ان النهر ينعطف في أقسامه الوسطى غرباً فتقترب بذلك كثيراً من ساحل النهر وأصبحت ماري مركزاً رئيساً على الفرات في أقسامه الوسطى ويتردد أسمها كثيراً في النشاطات التجارية مع بابل وايسن[١٦].واحتضنت ضفافه موانئ نهرية عديدة وكانت تشكل مراكز تجارية مهمة ومنها ايمار (مسكنة) وتوتول (تل البيعة) شيدت عليه الحصون والقلاع لحماية طرقه ومدنه وقراه[١٧]والكثير من هذه

---

[١٠] تعرف بقاياها اليوم بـ(صالحية الفرات) على بعد نحو ٨٥كم جنوب شرقي دير الزور على رأس صخري صلد يشرف على نهر الفرات ، اكتشفت بقاياها عام ١٩٢٠ على يد بعثة فرنسية .
انظر :كلينغل،هورست،اثار سورية القديمة،ترجمة قاسم طوير، دمشق ، ١٩٨٥ ، ص ٧٠ وما بعدها.

[١١] تقع أطلال مدينة تعرف باسم حلبيه وزلبيه على بعد ٥٠كم من دير الزور على هضبة صخرية صلدة تسيطر على وادي الفرات الذي يجري في هذه المنطقة مصطدماً بعدة هضاب صلدة ولذلك فانه لا يمكن ان يجري مجرى سهلاً بل (يختنق) ولذلك فان هذا الموقع يسمى (الخانوقة) .
انظر :لوفري ، ج، الخانوقة تمهيد جغرافي تاريخي عن حفريات مديرية الاثار العامة في موقع حلبية (زنوبيا) ، الحوليات السورية ، م١، ج١، دمشق ، ١٩٥١ ، ص ١٣٣وما بعدها .

[١٢] عياش،عبد القادر،الرقة كبرى المدن الفراتية القديمة،ق١،دير الزور،١٩٦٨،ص٥.

[١٣] فينيه ، آندريه ، الفرات طريق تجاري لمنطقة ما بين النهرين ، تعريب محمود حريتاني ، الحوليات السورية ، م١٩ ، دمشق ١٩٦٩ ، ص ١٤٣ وما بعدها .
الهاشمي ، رضا جواد ، "دور نهر الفرات في الامتدادات الحضارية لبلاد وادي الرافدين" ، بين النهرين ، العدد ٤٤ ، الموصل ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨٥ وما بعدها .

١٤ عياش ، عبد القادر ، حضارة وادي الفرات ، ص ١٤.

١٥ الجادر، وليد ، "التقنيات الاولى" ، العراق في موكب الحضارة ، ج١، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص ٩٣

[١٦] الهاشمي ، رضا جواد ، "التجارة" ، حضارة العراق ، ج٢، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٠٧ .
يقع هذا الموقع الى الشمال الشرقي من مدينة الرقة الحالية ويرجح انه مدينة توتول القديمة حسب رأي الفرنسي دوسان (Dossin-G) واجرت فيه بعثة المانية تنقيبات عام ١٩٨٠ واتضح انه لموقع مدينة عامرة في النصف الاول من الالف الثالث ق.م وفي العصر البابلي القديم . انظر :

المدن بعيدة عن مجرى الفرات الحالي والقليل منها ما يزال على أحد ضفتيه فمثلاً مدينة ماري كانت على شاطئ الفرات ، لكن الفرات الآن بعيد عن ماري لمسافة بضع كيلومترات وان توتول (تل البيعة) كانت تقع عند مصب البليخ في الفرات ، لكنها الآن تبعد كيلو مترات عدة عن البليخ وعن الفرات كذلك،في حين ان ايمار (مسكنة) كانت حتى انشاء بحيرة الأسد تبعد حوالي أربعة كيلو مترات عن الفرات ، أما دورا – أربوس وحلبية فظلتا في مكانيهما لأن الأولى واقعة على هضبة صخرية صلدة والثانية على كتف خانوقة كما ذكرنا[١٨].

ومما لاشك فيه فان هذا النهر أدى دوراً كبيراً في تعزيز الصلات بين سورية والعراق لقديم وبفضله أصبحت الحضارة العراقية القديمة تتمتع بما يجلب إليها عبره من بضائع ومواد أولية تفتقر إليها البيئة العراقية ومنها الأخشاب والمعادن ولذا فان له الفضل الكبير في البناء والعمران الذي شهدته المدن العراقية القديمة[١٩]، وله الفضل أيضاً في الدور الذي لعبته سوريا بحكم موقعها الستراتيجي في التجارة الدولية إذ كان الشمال السوري يمثل نهاية الطرق التجارية الرئيسة للعراق القديم فيما كانت منطقة الالاخ (تل العطشانة)المحطة النهائية للطرق التجارية من جنوب العراق وكليكيا منذ الألف الرابع ق .م[٢٠]. وكان للفرات اثر آخر إذ أنه لعب دوراً عسكرياً ، ففضلاً عن استخدامه في نقل الجيوش فإنه كان سبباً في نشوء الثغور (المحطات) العسكرية المستقرة وهذا أيضاً نوع من الاستقرار البشري بسبب ملاحقة التجار لتلك المناطق العسكرية طلباً للرزق من خلال عرض بضائعهم التي يتاجرون بها وهكذا تحولت تلك الثغور او المحطات العسكرية فيما بعد إلى مدن مثل دورا– أوربوس وحلبية وزلبية[٢١] التي ذكرت آنفاً.

لقد ظل الفرات يتحدى البشر ويجرهم إلى حيث يشاء إلى أن تم بناء سد الفرات في سورية فأصبح الأمر معكوساً إذ أصبح الإنسان يسيطر على مجراه ويصده عن الفيضان[٢٢].

---

[١٧] Strommenger, E "Ausgrbungen in Tall Bl'a Tuttul 1992".Chanigue Archealgique En syrie,vol2, Damas, 1998, p.76

[١٨] طوير ، قاسم ، المصدر السابق ، ص٥٢ وللمزيد حول تلك المدن والمواقع انظر: شوحان ، احمد ، المواقع والتلال الأثرية في وادي الفرات ، دمشق ، ٢٠٠٧.

[١٩] الهاشمي ، رضا جواد ، " دور نهر الفرات ..... " ، ص٢٩٧.ن ص٣٢٠

[٢٠] ساكز ، هاري ، عظمة بابل ، ترجمة عامر سليمان ، فرنسا ، ١٩٧٩ص٣٢٠

[٢١] طوير ، قاسم، المصدر السابق ، ص٥٤.

[٢٢] الهاشمي ، تغريد وحسن حسين عكلا ، المصدر السابق ، ص٣٠.

ايمار – الموقع والتسمية:

تقع أطلال هذه المدينة التي تعرف اليوم باسم (مسكنة) على بعد ١كم ونصف من ضفة الفرات الغربية على الطريق العام بين حلب – دير الزور ، شرقي حلب تبعد عنها ٩٠كم وغربي الرقة تبع عنها ٩٠كم[٢٣] وبحكم هذا الموقع عند منعطف الفرات نحو الشرق فقد كانت ملتقى القوافل القادمة من الشرق والغرب ، من البادية جنوباً ومن الجزيرة شمالاً ونقطة انطلاق القوافل التجارية بين ساحل البحر المتوسط وسورية الداخلية من جهة والعراق من جهة أخرى فضلاً عن كونها ميناءاً فراتياً مهماً ترسو فيه السفن القادمة من كركميش أو من ماري[٢٤]، واليوم تتبع منطقة منبج في محافظة حلب وهي ناحية في حوض خفسه تضم نحو ٤٤ قرية و٤٢ مزرعة في الحوض الأوسط للفرات[٢٥].

طوبوغرافية الموقع:

يقع تل مسكنة (ايمار القديمة) في موقع استثنائي وهو جزء من هضبة مقتطعة بواسطة مجرى سيل شديد قرب القاعدة المطلة على الفرات ، الموقع ذو شكل قائم الزوايا إذ يحده من الشمال والشرق وادي الفرات ومن الغرب شعب مما دعا الجيمورفولوجي الفرنسي بول سانلافيل (P.Sanlaville) للقول عنه انه تل صناعي وكذلك يحده من الجنوب واد طبيعي ،لذلك تشكل من كتلة مستقلة مرتفعة ومطلة على النهر ، أما في القسم الغربي فيتمتع الموقع بسطح ذو نتوءات مستديرة ، وطوبغرافياً يوجد له رأس في الشمال الغربي والجنوب الغربي ، وبين القمتين يقع أضخم سهل ووادٍ مهم ساعد سكان ايمار في استخدام حجارته في بناء وتنظيم مدينتهم[٢٦].

التسمية:

حملت هذه المدينة تسميات عدة . وكان أقدم ذكر لها في النصوص المسمارية هو ايمار[٢٧] ، في حين ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان باسم باليس وأشار إلى أنها بلدة بين حلب والرقة وتقع على ضفة الفرات الغربية[٢٨]،وقد ذكرها الآراميون باسم بيت – بالس ووردت ايضاً باسم باربااليسوس في العهد الكلاسيكي[٢٩] وكانت تشكل دوماً

---

[٢٣] عياش ، عبد القادر ، حضارة وادي الفرات ، ص٣٦١

[٢٤] الهاشمي ، تغريد وحسن حسين عكلا ، المصدر السابق ، ص٢٣٠

[٢٥] المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ،م ٥ ، دمشق ، ١٩٩٣ ، ص٢٤٩.

[٢٦] جاموس ، بسام ، مملكة ايمار في عصر البرونز الحديث ، دمشق ، ٢٠٠٤ ، ص١٨–١٩.

[٢٧] إسماعيل ، فاروق ، " نصوص سومرية واكدية من ايمار " ، مجلة دراسات تأريخية ، العددان ، ٩٧–٩٨ ، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص٣.

[٢٨] الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ط٨ ، م ١ ، بيروت،٢٠١٠ ، ص١٢٨ انظر كذلك : الحلو ، عبدالله ، تحقيقات تاريخية لغوية في الأسماء الجغرافية السورية ، دمشق ، ١٩٩٩، ص١٠٠.

[٢٩] الموسوعة الإسلامية ، مادة بالس المصدر نفسه

مرفأ دولة يمخد على الفرات وعاصمتها حلب ويقال ان هذه التسمية (باربالیسوس) معناها باب البليخ وهو من ورافد نهر الفرات[٣٠]، وعرفها العثمانيون باسم (اسكي- مسكين) نظراً لوقوعها قبل قرية مسكين بالقرب من قاعدة حربية ومحطة للبريد عثمانيتين ثم أصبح أسمها الحديث مسكنة أو (خرائب مسكنة)[٣١].

أصبحت هذه المدينة تحت الحكم العربي الإسلامي بقيادة أبي عبيدة بن الجراح الذي بعث بعضاً من جيشه على رأسهم حبيب بن مسلمة وظلت في عهد عمر بن الخطابﷺ وعثمان بن عفانﷺ حصناً من الحصون المهمة على التخوم الإسلامية لحماية البلاد من الروم البيزنطيين وظلت تحت الحكم العربي الإسلامي في العصور اللاحقة إلى أن دمرها الجيش المغولي عام١٢٥٩م[٣٢].

ايمار في النصوص المسمارية:

أدت ايمار دوراً حضارياً واضحاً في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد وهذا ما يمكن ان نستشفه من خلال ورود ذكرها في النصوص المسمارية المكتشفة في أيبلا التي تعود إلى النصف الثاني من الألف الثالث إذ ارتبطت معها بعلاقات تجارية قوية لكونها كانت تمثل ميناءاً مهماً على الفرات ويظهر ذلك واضحاً من خلال البضائع التي كانت ترسل من ايبلا إلى بعض حكام وامراء ايمار وكانت تلك البضائع عبارة عن منسوجات وألبسة ومعادن نفيسة[٣٣]وذكرت أيضاً في تلك النصوص لكونها محطة تجارية لتفريغ البضائع المنقولةعلى الدواب والقادمة من بوادي الشام باتجاه بلاد الرافدين[٣٤].وقد تكررذكرالزيارات التي كان يقوم بها حكام ايمار وممثلوهم إلى ايبلا في المناسبات الرسمية والدينية ، كما أشارت النصوص الإبلاوية إلى تبادل الموظفين بين المدينتين وأوردت أسماء عدد كبير منهم ، وكانت ايمار تلتزم بدفع الضرائب السنوية إلى ايبلا وترسل إليها معادن ثمينة كالذهب والفضة أو قطعاناً من الماشية ومنتوجاتها وبعض الأسلحة الحربية[٣٥].

وتشير النصوص الكتابية إلى أن لهذه المملكة نظاماً مشابهاً لنظام مملكة أيبلا ، كما يرد اسماء ثلاثة من ملوكها وهم آب- دامو (Ib- Damu)، اشجي- دامو Išgi- (Damu)وروسي- دامو (Rusi- Damu) وأحد امرائها ويدعى شرسا – دامو

---

[٣٠] عبودي ، هنري . س، معجم الحضارات السامية ، ط٢ ، طرابلس ، ١٩٩١، ص٧٩٠.

[٣١] الموسوعه الاسلامية ماده بالس .

[٣٢] المصدر نفسه.

[٣٣] مرعي، عيد، ابلا ، تاريخ وحضارة اقدم مملكة في سوريا ،ط١، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص٥٩-٦٠.
Archi . A ., Imar au IIIeme millenaire MAR16 paris, 1990, 32-38

[٣٤] نخبة من الباحثين ، أضواء جديدة على تأريخ وآثار بلاد الشام ، تعريب قاسم طوير ، دمشق ، ١٩٨٩، ص٣٦

[٣٥] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية ، ص٤

(šursa-Damu) وترد ايمار كأحد المدن التي استطاع ملك ايبلا اينا- داجان (Ina-Dagan) غزوها في إحدى حملاته العسكرية[٣٦]،فضلاً عن ان تلك النصوص قد ذكرت مجموعة من المدن الواقعة على الطريق نحو ايمار أو قربها ومنها : ماني ، أدنـــي ، اتنات، دوسيجو ، سادو كذلك يرد ذكر اسم الملكة تيشالم ملكة لأيمار التي كانت تحكم بالوصاية على ابنها القاصر وكانت معاصرة لملك ايبلا (يركب – دمو)[٣٧]، كما يرد ذكر الملك انزي – دو المعاصر للملك البلوي نفسه ، وزودتنـــا النصـــوص الكتابيـــة بأسماء عدد من أفراد أسرته ، وهم : زوجته كيرسوت ، زوجته داخو- مشم ، ابنـــه ري- دمو ، ابنه سورسا –دمو ، أخوه ايدو- مالك[٣٨] فضلاً عن ذلك فان نصوص ايبلا ايبلا تذكر أسماء بعض الأشخاص الذين لديهم وظائف إدارية فـــي القصـــر الملكـــي وأصحاب المهن في القصر مثل المشرفين على تصفيف شعر الملـــك (الحلاقـــين) ، وساسة البغال والشيوخ فضلاً عن ذكر اسماء بعض من عامة الناس[٣٩].

ويمكن القول ومن خلال بعض النصوص المكتشفة في ايمار ان السلطة فيها لم تكن مطلقة بيد الملك بل كانت هناك سلطة معبد ورجال دين وهي التي كانت تشـــرف على أراض زراعية واسعة وتتحكم بمجمل الفعاليات الاقتصادية ويتبع سلطة المعبـــد هذه عدد كبير من الموظفين الإداريين ، أما السلطة الفعلية والقرارات المهمة فكانـــت بيد ملوك كركميش إذ كان حكام ايمار تابعين لهم فـــي الأمـــور والقـــرارات المهمـــة وخصوصاً فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية ، ومع شحة النصوص الملكية لأيمار إلا أن الفرنسي آرنو(Arnu) تمكن من معرفة العديد من أسماء العائلة الحاكمة مـــن خـــلال تلك النصوص التي عثر عليها[٤٠].

وتؤكد المدونات المكتشفة المكتشفة في ايبلا ان حكامها اهتموا بايمار وتعاملوا معها بخصوصية نظراً لموقعها الجغرافي المتميز وذلك لضمان دورهـــا المهـــم فـــي مراقبة المناطق الفراتية المتاخمة لمملكة ماري المنافسة لها ، وفي رصـــد تحركـــات

---

[٣٦] Pettinato,G,"Ebla anew Look at History"Translated by Faith Richedson",London,1991,p141.
إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية ، ص٥.

[37] Archi,A., op.cit,.32-38

[٣٨] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية ، ص٥.

[39] Archi,A op.cit,.21-38.

[٤٠] جاموس ، بسام ، المصدر السابق ، ص٦١.
وحول النصوص الكتابية التي عثر عليها أرنو أنظر :
أرنو ، د. " النصوص المسمارية التي عثر عليها خلال المواسم الثلاثة الأولى في مســـكنه القديمـــة الغربية "،تعريب عدنان البني،الحوليات السورية، م٢٥، ج١، ج٢، دمشق،١٩٧٥،ص٢٢٥وما بعدها.

القبائل البدوية على أطراف البادية السورية وقمع المشاكل التي تثيرها ، فضلاً عن انها كانت ميناءاً أساسياً على الفرات تعتمد ايبلا عليه في تجارتها مع العراق القديم[٤١].

أما النصوص التي جاءتنا من ماري والتي تعود إلى الألف الثالث ق.م وتعاصر وثائق أيبلا فقد أشارت إلى أن حاكم ماري اشتوب- ايشار قام بحملة على مناطق الفرات الأعلى ووصل إلى ايمار وحولها إلى أنقاض ، كما قام خليفته ايلل – ايل بحملة إلى المنطقة نفسها ويبدو أنه تغلغل في المناطق التي كانت تحت نفوذ ايبلا مما اضطرها إلى تقديم هدايا الطاعة والولاء له في مدينة ماني القريبة من ايمار مقابل انسحابه من تلك الأراضي وبقيت ايمار موالية لأيبلا وخاضعة لنفوذها وسيادتها غير المباشرة[٤٢].

مطابقة ايمار مسكنة من خلال النصوص المسمارية:

ومع كل ما أشارت إليه مدونات الألف الثالث ق.م من ايبلا وماري ،لكن لم يعثر لحد الآن على الآثار التي تعود إلى مدينة ايمار في هذه المرحلة التاريخية ويبدو أن الفرات قد ابتعد عن مجراه القديم ومعه انتقل السكان بالتدريج إلى موقع جديد على ضفته إذ كشف المنقبون عن بقايا المدينة الجديدة الواقعة في (تل مسكنة)[٤٣]ولا بد هنا من الإشارة إلى أن أول من اقترح مطابقة مدينة ايمار القديمة الواردة في النصوص المسمارية بموقع مسكنة الحالي هو الفرنسي جورج دوسان[٤٤]وقد ايده في ذلك بعض الباحثين،إلا أن سدني سمث كان له رأي آخر في ذلك بعد نشره لنص السيرة الذاتية التي دونت على تمثال أدريمي ملك الالاخ (تل العطشانة) والتي تعود إلى القرن الخامس عشر ق.م ويذكر فيه أنه حدثت اضطرابات في حلب فلجأ وأفراد أسرته إلى أخواله (سادة) ايمار ، ولكن لم يطب له العيش فيها طويلاً فغادروها إلى أرض كنعان كما يرد تباعاً في النص[٤٥]:

١-انا ادريمي بن اليم – اليما
٢-خادم تيشوب ، خيبات وشاوشكا
سيدة الالاخ ، سيدتي
٣- في حلب بيت ابي
٤- حدثت اضطرابات وهربنا(إلى)
٥- سادة ايمار أخوة

---

[٤١] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية .... ، ص٤.

[42] Dumad, I.m, La cite- etat d'Imar al'poque des rois de man . M.A.R.I.6, 1990,39-92.

[٤٣] نخبة من الباحثين ، المصدر السابق ، ص٣٦.

[44] Dossin. G., Syria 19 , 1938. P.116.

[45] أنظر بخصوص ذلك : Smith, s.,The statue of ldri-mi, London, 1949

٦- امي – وسكنا في ايمار
٧- أخوتي الذين كانوا أكبر مني
٨- سكنوا معي أيضاً ، ولكن لأحد منهم
٩- فهم الأشياء التي فهمتها
حتى السطر١٨ الذي يرد فيه :
رحلت الى ارض كنعان
إلى آخر النص[٤٦]

ومن خلال هذا النص يرى سمث أن (ايمار) تقع في منطقة على نهر العاصي إلى الجنوب من مدينة الالاخ ، إلا ان التنقيبات الأثرية الحديثة للبعثة الفرنسية التي سنأتي عليها لاحقاً أكدت بصورة قاطعة إلى ما ذهب إليه جورج دوسان ومؤيدوه بعد اكتشاف ايمار العصر البرونزي الحديث (١٦٠٠- ١٢٠٠ق.م) إلى الغرب من أسوار مسكنة/ بالس القديمة[٤٧]

ايمار في نصوص الألف الثاني ق.م:

ذكرت نصوص ماري التي تعود إلى القرن التاسع عشر والثامن عشر ق.م ايمار بصفتها أحد الممالك التي كانت تابعة لمملكة يمخد وقام ملك ماري يخدن – لم بحملة عليها لهذا فأن تلك النصوص الملكية سميت بـ (السنة التي اوقع بخدن – لم هزيمة ساحقة بأبناء قبائل يمينا وايمار عند مدخل مدينة[٤٨]ابتم[٤٩]. ويبدو ان ايمار كانت تحاول زعزعة استقرار المدن الأقوى ولاسيما ماري وذلك بدفع من مملكة يمخد حيث كانت ايمار تحت سيطرتها وهذا ما تؤكده أيضاً نصوص الالاخ والتي تعود إلى أواخر القرن الثامن عشر وبداية السابع عشر ق.م إذ تشير إلى أن ايمار الالاخ خاضعتان لحكم (اب- أبل) ملك يمخد وكانت بينهما علاقات تجارية[٥٠]وهناك إشارة لإيمار في

---

[٤٦]ترجمة النص أنظر :
مرعي عيد ، " ادريمي ملك الالاخ " ، دراسات تاريخية ، العدد ٢٩-٣٠ ،دمشق ، ١٩٨٨ ، ص١٠٨ ، وما بعدها.

[٤٧] انظر : مارغورون ، جان ، " تقرير أولي عن موسم التنقيب الأول والثاني في مسكنه – ايمار (١٩٧٢-١٩٧٣) ، ترجمة : عدنان البني ، الحوليات السورية ، م ٢٥، ج١ ، ج٢ ، دمشق ، ١٩٧٥، ص٢٢١ وما بعدها.

[٤٨] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية واكدية ، ص٥.

[٤٩] ابتم (في الأصل ابرتم ، أي المعبر ، العابرة) ، بحسب الشواهد الكتابية التي تم العثور عليها على الضفة اليسرى للفرات تقع بين ايمار وتوتول (تل البيعه) ولكن لم تتحقق مطابقتها مع إحدى التلال الآثارية في المنطقة لحد الان . أنظر: إسماعيل ، فاروق، المصدر السابق ، ص٤٣.

[50] Wiseman ,D, The Alalakh tablets London 1953 , No.238, 253, 254, 269,348.

نص مسماري اقتصادي يعود إلى القرن السابع عشر ق.م اكتشف في مدينة خرادم (خربة الدينية) في غرب مدينة عنه[٥١].

ومن الشواهد البابلية الوسيطة(١٥٩٥-١١٦٢ق.م) النادرة ما ورد في نص من المدينة نفسها(ايمار) يمكن أن نستخلص منه وجود مركز تجاري وهيأة قضائية مشرفة فيها، إذ يوصف أحد الأشخاص بأنه الرجل القاضي في الكار(awit šupiti Kari) وهذا ما يؤكد أهميتها التجارية التي كانت واحدة من أهم أسباب ازدهارها وثرائها الاقتصادي[٥٢].

أما نصوص القرن الرابع عشر التي جاءتنا من موقع تل العطشانة (الالاخ) ذكرت ايمار كونها عاصمة لمملكة (اشتاتا)[٥٣] الحثية والتي ورد ذكرها أيضاً في المدونات الملكية الحثية بصفتها إحدى الممالك التي قام الحثيون بإخضاعها إلى سلطتهم في منطقة الشمال السوري[٥٤]وقام الملك الحثي مورشيلش الثاني(١٣٣٩-١٣٠٦م) ببناء حامية عسكرية في اشتاتا لحماية الحدود الجنوبية للمملكة الحثية[٥٥]كما ورد ذكر ايمار واشتاتا معاً في وثائق حاتوشا(بوغازكوي)واوغاريت من القرن الثالث عشر ق.م[٥٦].

ولعل أهم المصادر المدونة التي تحكي لنا قصة هذه المدينة التي أصبحت مملكة مهمة كان للفرات أثر رئيس في صنع حضارتها ومجدها ، ولموقعها الجغرافي المتوسط لممالك أساسية ظهرت في عهود تاريخية متتالية، هو تلك الوثائق المكتشفة فيها نفسها من خلال عمليات التنقيب الاثاري التي جرت فيها ، وتمتد تلك الوثائق زمنياً إلى العقد الثاني من القرن الثاني عشر ق .م ويزيد عددها عن ألف وخمسمائة رقيم مدونة بلغات عدة منها سومرية وأكدية وحورية وحثية وغالبيتها تعود الى القرن الثالث عشر ق.م بعد خضوعها للسيطرة الحثية .

اشتملت تلك النصوص على مواضيع عدة منها نصوص اقتصادية وإدارية وهي القسم الأكبر من النصوص وتتضمن عقود بيع وشراء وملكية وميراث وقرارات وأوامر ملكية وجداول حسابية خاصة بتسليم مواد وتوزيع أسلحة وأدوات ، كما كانت هناك مجموعة من النصوص الدينية التي كان لها الأثر المهم في التعرف على المعتقدات

---

[51]Joannes ., F, Une mention d'Emar dans on Texte de 1-Haradum MARI 6, 1990,121-122.

[٥٢] إسماعيل ، فاروق ، المركز التجاري (كاروم Karum) في الألف الثاني ق.م ، الحوليات السورية ، عدد خاص عن الندوة الدولية حلب وطريق الحرير ١٩٩٤، دمشق ، ١٩٩٩، ص١٠٩.

[٥٣] تظهر بقايا آثار هذه القلعة في تل فقعوس الواقع على بعد ١٥كم جنوبي ايمار وهي تمثل حصن كبير ذات أبراج وأسوار متعددة . انظر :
كولماير ، كاي ، ايمار " مسكنه " ، الآثار السورية ، فينا ، ١٩٨٥ ، ص١٣١.

54 RGTC, Band 6,P.48.

[٥٥] كولماير ، المصدر السابق ، ص١٣١.

[٥٦] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية .... ، ص٦.

الدينية والشعائر التي كان يمارسها سكان المدينة ، فضلاً عن ذلك فهناك نصوص لغوية معجمية وجداول بأسماء الاعلام من آلهة ومدن وأسماء انهار وجبال ، وهناك نصوص أدبية ضمت مقاطع لبعض الملاحم الشهيرة ومنها ملحمة جلجامش ، كذلك نصوص ضمت بعض التعاويذ المهمة في المعالجات الطبية .

ومن النصوص المهمة التي تبين لنا أسماء بعض الحكام والأمراء في ايمار هو عدد من الرسائل المتبادلة بين حكام المدينة وولاتهم[٥٧].فترد أسماء بعض من هؤلاء الحكام والأمراء التالية :

١- بعل – كبر (im . Gal) ابن يضي – داجن .

٢- زو – اشتارتي (Zu- Astarti) ابن بعل – كبر .

٣- فلس – داجن (Pilsu- Dagan) ابن بعل – كبر .ايضا

كما تذكر أسماء عدد من أفراد الأسر الحاكمة[٥٨]والامراء التابعين لهم في المدن الأخرى، كما كان هناك مجموعة من النصوص التي توضح لنا ان هناك تنظيماً اجتماعياً لبعض الجوانب المهمة في المجتمع وهذه النصوص تمثل وصايا شخصية تتعلق بالميراث وتنظيمه بين الأبناء كما تمثل بعضاً من نصوص التبني الذي كان معروفاً في المدينة[٥٩].

ان تلك المجاميع المختلفة في مواضيعها من النصوص المسمارية تؤشر لنا وبوضوح مدى التنظيم الإداري العالي الذي كان سائداً في المملكة وعلى تحضرها وتمدنها وتراثها ، ولا غرابة في ذلك ، إذ ان تلك المملكة وقعت تحت تأثيرات حضارية عدة بحكم موقعها الجغرافي بين حضارة العراق القديم والحضارتين الحورية والحثية ، ولكنها تمتعت أيضاً بخصوصية الحضارة السورية الفراتية ولاسيما في مجال المعتقدات الدينية المتمثل بطقوسها وشعائرها وطابع عمارة معابدها المتميز[٦٠]، ولهذا فان ايمار كانت دائماً محط اهتمام الممالك الأقوى مثل ايبلا وماري ويمخد إذ تشير النصوص الكتابية إلى ان لهذه المملكة دوراً مهماً في التحالفات السياسية والعسكرية خصوصاً في عهد يخدن – لم حاكم ماري في منطقة حوض الفرات والتي كان الهدف منها هو الحد من الدور الخطير الذي كانت تلعبه ماري سياسياً واقتصادياً والذي تمثل في تحالفين :

الأول : بين ايمار ومدينة ابتم الواقعة على الطرق التجارية المنطلقة من الفرات نحو قطنة وتوتول وسمانم الواقعة إلى الغرب من ماري .

---

[٥٧] المصدر نفسه ،ص١٠ وما بعدها.

[٥٨] شعث ، شوقي ، المصدر السابق ،ص٢٩.

٥٩ إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية ، ص١٢، ٤٠.

٦٠ شعث ، شوقي ، المصدر السابق ،ص٢٩.

الثاني : تحالف أقيم ليواجه التحالف الأول إذ تزعمته ماري وضمت إليها ترقا (بين ماري وتوتول) وسكاراتم الواقعة على نهر الخابور عند مصبه في الفرات[٦١].

وتشهد الوقائع التاريخية من عصر يخدن – لم أيضاً على وجود تجمع لحكام وقبائل وادي الفرات يقوده شيخ مدينة سمانم الواقعة شمال ترقا ، ويبدو ان ايمار كانت تمد يد العون والمساعدة لهذه القبائل ضد مدينة ماري لأنها كانت واقعة تحت تأثير نفوذ مملكة يمخد[٦٢]ولكن النصوص الكتابية تشير إلى ان يخدن –لم استطاع السيطرة على هذه القبائل وقتل شيخهم وملاحقة فلولهم حتى حدود يمخد ثم سيطر على ايمار[٦٣].

ان كل ما تقدم يثبت لنا وبشكل جلي الأهمية التاريخية التي لعبتها ايمار في منطقة الشمال السوري لكونها شكلت مع كركميش البوابتين الاكبر على تقاطع الطريقين السوري العراقي ومحطتين مهمتين في حوض الفرات السوري الشمالي[٦٤].

التنقيب في تل مسكنة واكتشاف ايمار القديمة :

ان أول من قام بإجراء مسوحات في موقع تل مسكنة هما الباحثان الالمانيان (E-Hertzfeld) و (E- Sarre) في عشرينات القرن الماضي بعد قيامهما بجولة في حوض مناطق الفرات ودجلة ولم تكن هناك نتائج ملموسة للعمل بسبب قصر مدته[٦٥]وفي عام ١٩٢٩ قامت بعثة فرنسية بأعمال تنقيبية في الموقع وتم من خلال تلك الأعمال الكشف عن جامع يعود تاريخه إلى العصر الأموي[٦٦] ثم توقفت أعمال التنقيب في الموقع حتى عام ١٩٦٨م إذ نظمت الحملة الدولية لإنقاذ المواقع الآثارية التي ستغمر بمياه سد الطبقة الذي بدء بإنشائه آنذاك.

كانت الحملة الانتقاذية بإشراف المعهد الفرنسي وبإدارة اندريه ريمون (A-Rimon) ولوسيان غولفان(L.Golvan) وقد اختارت موقع تل مسكنة بسبب إجراء بعض الأعمال فيه من قبل العهد الفرنسي بدمشق عام ١٩٢٩– ١٩٣١ وكذلك بسبب الدور المهم للمدن التي توالت في هذه المنطقة المهمة في سورية[٦٧].

---

٦١ خليف ، بشار، ممكلة ماري ، ط١ ، دمشق ، ٢٠٠٥ ، ص١٣٨.

٦٢ كلينغل ، هورست ، تاريخ سورية السياسي ، ط١، ترجمة: سيف الدين ذياب ، دمشق ، ١٩٩٨، ص٥٥–٥٦.

٦٣ خليف ، بشار ، المصدر السابق ،ص١٣٨.

٦٤ لوبو ، مارك ، طرق الاتصال في بلاد الرافدين العليا في الألف الثالث ق.م ، تعريب : أحمد فرزه طرقجي ، الحوليات السورية ، عدد خاص عن الندوة الدولية حلب وطريق الحرير ١٩٩٤ ، دمشق ، ١٩٩٩، ص٢٧١.

٦٥ شعث ، شوقي ، المصدر السابق ، ص٧.

٦٦ جاموس ، بسام ، المصدر السابق ، ص١٣.

٦٧ البعثة الفرنسية ، " مسكنه – باليس" ، معرض الآثار السوري الأوربي ، دمشق ، ١٩٩٦ ، ص١٨١.

خصص أول موسم للعمل لاستطلاع الموقع وكان ذلك في شهري تشرين الثاني وكانون الأول من سنة ١٩٧٢ وتبعتها عدة مواسم تنقيبية بين سنتي ١٩٧٣-١٩٧٦ ومن خلال تحري المنطقة تم اكتشاف موقع (تل فقعوس) الذي يقع على بعد نحو اثني عشر كيلو متراً في خط مستقيم إلى الجنوب الشرقي من ايمار وتأكد من خلال نتائج التنقيبات فيما بعد ان هذا الموقع كان قلعة (اشتاتا) التي شيدت للدفاع عن مدينة ايمار[٦٨].

ان اكتشاف هذه المدينة حدث عرضاً ، فبينما كانت البعثة الفرنسية تجري أعمالها للبحث عن مسكنة الإسلامية في حملة إنقاذ آثار الفرات في عام ١٩٧١ ، كان عدد من أعضاء البعثة يقومان ببعض أعمال التنقيب في احد المواقع الواقعة في الجهة الغربية خارج السور الإسلامي فتم العثور على آثار تعود للنصف الثاني من الألف الثاني ق.م[٦٩] ،ومن ضمن ما تم العثورعليه رقيم مسماري ، فضلاً عن بعض الكسر الفخارية التي تعود إلى الألف الثاني ق.م وهذا الأمر دعا البعثة الفرنسية بإدارة جان كلود مارغرون (J.C.Margueron) إلى الاهتمام بهذا الموقع من أجل تحديد هويته وتاريخه ، ولهذا فقد استمر العمل فيه حتى عام ١٩٧٦ بالاتفاق مع المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية.

وتشير تقارير التنقيب الخاصة بالبعثة إلى انه في اليوم الخامس من بدء العمل في الموقع تم الكشف عن أربعة عشر لوحاً مسمارياً مكتوباً باللغة الأكدية داخل جرة موضوعة في خزانة جدارية وقام بترجمتها الدكتور أرنو(Arnu) وأكدت تلك النصوص ان البعثة بصدد اكتشاف مهم بعد ان تمكن أرنو من تحديد الاسم القديم للموقع وهو (ايمار) المذكورة في نصوص ايبلا وماري[٧٠] ،كما كشفت عن طبقات آثارية تعود إلى العصر البرونزي الحديث (١٦٠٠- ١٢٠٠ق.م) وتضمنت آثار وشواهد مهمة منها دينية ومنها مدنية[٧١].

لقد كان اكتشاف هذه المدينة حدثاً علمياً مهماً أثار انتباه الأوساط العلمية الآثارية العالمية وطرح تساؤلات حول آثار المدينة التي تعود بتاريخها الى العصور السابقة للمكتشفات أي الى العهود التاريخية التي تحدثت عنها النصوص الكتابية وهي تشكل مرحلة تاريخية طويلة تمتد الى اكثر من الف سنة (٢٤٠٠- ١٤٠٠ق.م)[٧٢] .

اهم نتائج تنقيب البعثة الفرنسية :

---

[٦٨] المساهمة الفرنسية في دراسة الآثار السورية ، " ايمار وفقعوس " ، دمشق ، ١٩٨٩ ، ص٥٤.

[٦٩] مارغورون ، جان ، الحوليات السورية ، ١٩٧٥، ص٢٢١.

[٧٠] مارغورون ، جان ، معرض مكتشفات الحملة الدولية لإنقاذ آثار الفرات ، المتحف الوطني – حلب ،١٩٧٤،ص٩٠.

[٧١] احمد ، محمود عبد الحميد وآخرون ، آثار الوطن العربي القديم ، دمشق ، ١٩٩٩،ص٣١٥.

[٧٢] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية وأكدية ....، ص٨.

دلت نتائج التنقيبات على ان ايمار العصر البرونزي الحديث (١٦٠٠-١٢٠٠ق.م) بنيت في بداية القرن الرابع عشر ق.م فوق مصاطب ومدرجات صخرية مشرفة على الفرات ربما في مكان جديد غير ذلك الذي كانت تقوم عليه ايمار العصرين البرونزيين القديم(٣١٠٠- ٢١٠٠ق.م) والوسيط (٢١٠٠- ١٦٠٠ق.م) على حد رأي المنقبين[٧٣]، كما ان اعمال التنقيب اظهرت لنا قلعة اشتاتا والمناطق المحيطة بها والتي كانت تشكل الحدود الجنوبية الشرقية للامبراطورية الحثية وتبين ان الملك الحثي تشوبيليوما(١٣٨٠- ١٣٤٠) وخليفته الملك مورشيلس الثاني (١٣٣٩-١٣٠٦ق.م) هما اللذان قاما ببناء ايمار وقلعة اشتاتا في القرن الرابع عشر ق.م اذ كان لابد من ايجاد بديل لمدينة ايمار القديمة المعروفة من خلال نصوص ايبلا وماري وقد استوجب انشاء هذه المدينة الجديدة تنفيذاً اعمال ضخمة بغية تأهيل موقعها[٧٤]الذي يدل على حس جغرافي وطوبغرافي إذ يقع على وادي الفرات وقد تطلب تحقيق هذا الاختيار أعمالاً إنشائية كبيرة أدت إلى تكوين سطح جديد للموقع بعد أن ألغيت بعض التحدبات والتعرجات وإملاء بعض الفجوات وبناء سلسلة من الشرفات والمصاطب بطول كيلو متر واحد وعرض سبعمائة متر وكشفت المصاطب عن أرضيات مستعملة لتعلية سطح التل ابتداءاً من مستوى النهر إلى ارتفاع نحو ٢٨٠م حتى قمة الموقع بارتفاع ٣٢٦م[٧٥]، وهذا ما يسمح بتأمين حماية ودفاع قويين للمدينة ، فضلاً عن بناء سور حول المدينة فحفر في الصخر الكلسي وادياً صناعياً حقيقياً ما يزال يحد الموقع من جهة الغرب[٧٦].وذكرت تقارير البعثة الفرنسية للموسمين التنقيبين الأوليين (١٩٧٢-١٩٧٣) إن هناك طبقات بيزنطية وإسلامية مهمة في الموقع مما حدد عمل البعثة من امتداد الحفريات للبحث عن طبقات الألف الثاني ق.م وأصبح العمل مقتصراً على القسم الغربي من التل وبالتحديد قي القطاعين E,A ، إذ إن العمل في القطاع A والذي يقع على النتوء الشمالي الغربي المطل على وادي نهر الفرات هو الذي شجع على الاستمرار بالتنقيبات واستمرارها لاكتشاف مجموعة من المنازل فيها ، لعل من أهمها نموذجاً مبكراً لما يعرف ببيت حيلاني[٧٧]الذي يعود إلى بداية الألف الأول ق.م[٧٨]،

---

٧٣ شعث ، شوقي ، المصدر السابق ، ص٨.

٧٤ المساهمة الفرنسية .....، المصدر السابق ،ص٥٦.

[75] RLA, 8 . Berlin , 1993,p.86.

٧٦ احمد ، محمود عبد الحميد وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣١٥.

٧٧يرى الدكتور علي ابو عساف ان هذا الطراز المعماري هو من المبتكرات المعمارية التي انتشرت في عهد الآراميين وأخذها منهم الآشوريون والحثيون ويمتاز بنوع من هندسة البناء ذات الصفات الخاصة ، له قاعة أمامية مستطيلة الشكل ذات مدخل واسع ، يرفع ساكفه على أعمدة ، تعقبها قاعة رئيسة مستطيلة الشكل أيضاً فيها موقد تحيط بها الحجرات من جوانبها الثلاث. أنظر : ابو عساف ، علي ، أثار الممالك القديمة في سورية ، دمشق ، ١٩٨٨، ص٤٥١وما بعدها .

ولكن هذا الطراز المعماري كان غير مألوف في سورية في تلك المدة ويبدو أنه من أصل حثي والذي عرف فيما بعد في مواقع سورية شمالية عدة[٧٩]،وعموماً فقد كان البيت يحوي على قاعة كبيرة مستطيلة وهي على ما يبدو تمثل (قاعة العرش) تتصل ببهو مستطيل من خلال سقيفة ذات عمودين في وسط الواجهة وهذا يمثل جناح القصر الرسمي ، في حين كان الطابق العلوي مخصصاً للسكن ، وهناك عدد من الأبنية الخدمية الملحقة بالقصر تتوزع على المنحدر الذي يقع خلف جناح القصر الرسمي ومن المكتشفات المهمة في هذا القطاع الجرة الفخارية التي عثر عليها أرنو التي كان بداخلها عدد من النصوص المسمارية وكما أسلفنا سابقاً[٨٠].

أما في القطاع E الذي يقع في الجهة الجنوبية الغربية من الموقع فأن أهميته جاءت من أنه يمثل الحي الديني للمدينة ، فقد تم العثور في الموسمين الأول والثاني على طرفي شارع عريض باتجاه شرقي غربي وعلى معبدين بعرض يرتاوح بين ٦-٧م وبطول ١٢-١٤م أي انهما طوليان في تخطيطهما وكل منهما محاط بجدران تبلغ سمكهما نحو ٢،٣٠م وله على ما يبدو باب واحد وسط الجدار الشرقي ، أما الجهة الغربية ففيها مصاطب ومطالع أدراج ، وفي كل معبد عند ثلثي الطول وفي محور الباب يقوم مذبح له درجات أمامها مصطبة واطئة، وقد تم العثور في أرضية المعبدين على عدد من الرقم الطينية التي بينت ان هذين المعبدين كانا مكرسين لعبادة الإله بعل والآلهة عشتار ولذلك فان لهما أهمية خاصة بصفتها أكبر معابد المدينة على الإطلاق[٨١].

وفي المواسم التنقيبية اللاحقة التي جرت ما بين عامي ٧٤-٧٦ تم اكتشاف معبد ثالث في احد أحياء المدينة وهو لا يختلف عن المعبدين السابقين من حيث تصميمه ، غير إنه كان كما يبدو مركزاً لنشاط أحد الكهنة المهمين والذي كانت له حظوة لدى البلاط الملكي الحثي وهذا ما يمكن أن نستشفه من خلال المكتبة التي عثر عليها في هذا المعبد وهي تضم نصوصاً دينية ومعاجم وتنبؤات كتبت باللغة السومرية والأكدية والحورية وهي توضح إلى أن هذا المعبد كان مكرساً لعبادة عدد من الآلهة وهذه دلالة على ان هناك (تسامحاً دينياً) في ايمار[٨٢].

---

[78]RLA, op.cit. p.90.

٧٩المساهمة الفرنسية ....،المصدر السابق، ص٥٧.
٨٠ جاموس ، بسام ، المصدر السابق ، ص١٤-١٥.
٨١ مارغورن ، جان ، الحوليات السورية ، ١٩٧٥، ص٢٢٢.
٨٢ الحوليات السورية ، م٣٢ ، دمشق ، ١٩٨٢، ص٢٠٣.

كما ان لهذه النصوص أهمية كبيرة لكونها تمثل أرشيفا لجميع التراتيل التي كانت تنشد في حجرة العبادة أثناء تأدية الطقوس والمراسيم الدينية ، لهذا فان هذا المعبد يعد أحد مراكز النشاطات الفكرية والاجتماعية في المدينة[٨٣].

وهناك معبد رابع في المدينة على مسافة قريبة من المعابد الثلاثة السابقة ،ولم تعثر بعثة التنقيب على أية أشارة عن اسم الإله المخصص له هذا المعبد ولكن وجدت فيه بعض اللقى الآثارية التي تدل على أهميته[٨٤].

وذكرت النصوص المسمارية التي وجدت في ايمار العديد من الوظائف الدينية وبعضاً من الطقوس التي تصاحب تقديم الأضاحي والقرابين من حيوانات وخبز وشراب وزيت ، كما وصفت الأعياد الدينية مثل عيد الذكر (Zukru) التي كانت أحداث تجري خارج المدينة وتدوم عدة أيام إذ تعقد مجالس الأكل والشرب وكان الإله داجان هو الإله الرئيسي في هذا العيد ، كما كان هناك عيد العرش (Kissu) الذي كان يقام في معبد داجان،والى جانب معابد المدينة كان هناك العديد من البيوت الدينية المكتشفة فيها[٨٥]،كما تم الكشف عن القصر الملكي الذي كان يقوم على مرتفع في شمال غرب الموضع ويكون مطلاً على المدينة مما يسهل من مراقبتها ، كما ان هذا الموقع يساعد على مراقبة الوادي المحاذي له[٨٦].

أما بيوت السكن في ايمار فقد تم الكشف عنها في إحياء المدينة وبشكل كامل او جزئي مما أعطى صورة واضحة عن تنظيم المدينة وعن تخطيط البيوت التي كانت متشابهة مع بعضها باستثناء بعض التحويرات البسيطة ، وكان البيت يتألف عادة من غرفتين صغيرتين متلاصقتين أقيمتا في الجهة المقابلة للمدخل ، وغالباً ما كانت الغرفة الرئيسة تحتوي على تنور وعلى بقايا درج يؤدي إلى الطابق العلوي الذي يحتوي على غرفة أو غرفتين تشرفان على سطح ، وقد عثر في داخل تلك البيوت على العديد من الأواني الفخارية والحجرية وبعض اللقى المعدنية التي كانت تستخدم في الحياة اليومية[٨٧].

كما عثر على العديد من اللقى الآثارية في أماكن مختلفة من المدينة ، ولعل من أهمها جزءاً من آنية ذات رسوم آدمية وحيوانية وأشكالاً هندسية وهي مصنوعة من المرمر الجبسي وهناك عدد كبير من الصناديق الفخارية المستطيلة الشكل ظن وكذلك تم العثور على عدد من التماثيل الطينية التي تمثل آلهة وأشخاصاً وحيوانات مثل الثيران

---

[83]RLA, op.cit. p.91

٨٤ احمد ، محمود عبد الحميد وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣١٩.

٨٥إسماعيل ، فاروق ،" ايمار في الوثائق الكتابية المسمارية " ،التنقيبات الأثرية السورية المشتركة بين جامعة حلب والمديرية العامة للآثار والمتاحف ، حلب ، ١٩٩٣ ، ص٢٩.

٨٦ المساهمة الفرنسية ، ص٥٧.

[87] RLA, op.cit. p.87.

والأغنام والبغال والأسود .... الخ فضلاً عن عدد كبير من الأواني الفخارية ذات الأشكال والأحجام المتعددة[٨٨].

لقد أهمل الموقع وصارت آثاره عرضة للنهب ، ولكن بقي أمل اكتشاف آثار عصوره التاريخية الأقدم قائماً وهذا ما دفع إلى التفكير في إعادة العمل التنقيبي فيه فتشكلت بعثة آثارية مشتركة بين جامعة حلب والمديرية العامة للآثار وللمتاحف السورية للعمل فيه عام ١٩٩١ وأنجزت أربعة مواسم تنقيبية لغاية عام ١٩٩٥م ودام كل موسم نحو شهر ولكن البعثة تمكنت من الكشف عن أجزاء كبيرة من سور المدينة المبني بالآجر والحجر الكلسي وبرجين من أبراجه ، كما تم الوصول إلى ما يعتقد أنه الأرض البكر وظهرت العديد من البقايا العمارية واللقى الحجرية والأواني الفخارية ودمى طينية وجميعها تعود إلى العصر البرونزي الحديث إلا أنها لم تعثر على شواهد أو لقى تعود إلى أقدم من ذلك[٨٩] .

وفي عام ١٩٩٦م انضم إلى البعثة فريق عمل من جامعة توبنجن (Tuebingen) الألمانية وأصبحت البعثة سورية – ألمانية مشتركة وتم وضع مخطط طوبوغرافي جديدٍ للموقع وحددت عليه مواقع التنقيب الفرنسية والسورية السابقة وتم تحديد العمل بقطاعات متباعدة ، كما تم توسيع الحفر في القطاع (A) الذي نقبت فيه سابقاً البعثة الفرنسية وأبانت انه منطقة معابد ، وفي القسم الجنوبي من القطاع تم الكشف عن شواهد آثارية لطبقتين حضارتين مختلفتين تعود الأولى إلى العصر البرونزي الحديث (١٦٠٠- ١٢٠٠) ، والثانية إلى العصر البرونزي المبكر – المرحلة الرابعة (٢٣٥٠- ٢٠٠٠ق.م) ، لهذا فان شواهد هذه الطبقة تكتسب أهمية خاصة لأنها يكشف عنها لأول مرة في الموقع ، أما في جنوب الموقع فقد كشف عن بعض من أجزاء سور المدينة القديم الذي يعود إلى العصر البرونزي الحديث وهو مبني من الآجر على أسس حجرية ويبلغ عرضه نحو ثلاثة أمتار ، وفي الجنوب أيضاً تم العمل في مربعين متجاورين وكشف عن شواهد آثارية من العصر البرونزي الحديث أهمها طبعة ختم اسطواني على سدادة طينية أبعادها (٦×٨سم) فيها مشاهد تقديم نذور ، أما القطاع (G) فيقع في المنطقة الإسلامية (بالس) وكشفت فيه عن أجزاء من سور المدينة البيزنطي الذي يحيط بمباني إسلامية من القرن الثالث عشر الميلادي وعثر فيها على أواني ذات أشكال مختلفة منها أباريق وصحون ملونة وهي بحالة جيدة[٩٠] .

واستناداً إلى نتائج التنقيبات التي جرت في المدينة عبر تلك السنوات الطويلة يمكن الاستنتاج أن مدينة ايمار فيها تأثيرات حثية واضحة في مخططها العمراني ،

---

[٨٨] جاموس ، بسام ، المصدر السابق ، ص٨٩ وما بعدها.

[٨٩] شعث ، شوقي ،المصدر السابق ،ص ٩.

[٩٠] إسماعيل ، فاروق ، نصوص سومرية واكدية ...، ص٩-١٠.

وكذلك في طراز منحوتاتها ويرافق ذلك تأثير للديانة العراقية القديمة من خلال بعض الطقوس الدينية التي كانت تمارس في معابدها وهذا ما أوضحته النصوص الدينية التي عثر عليها في معابد المدينة ، ولكنها تتميز بخصوصية في عمارة وتخطيط معابدها التي تتوافق مع مواصفات المعابد السورية التي تتميز عموماً بالمواصفات الآتية :

١- تتميز بشكل مستطيل وغالبا ما يكون الطول ضعف العرض .

٢- تتألف واجهة المعبد الرئيسية من مدخل كبير على شكل قاعدة مفتوحة يتشكل من جدارين طويلين يتقدمان داخل القاعة الكبرى وهناك عمودان في المدخل غالباً ، ويظن انهما جزء دائم من المخطط.

٣- يفضي المدخل والعمودين الاماميين إلى القاعة الرئيسية ذات الشكل المستطيل ويكون محورها وسط المعبد عامة (وسط المدخل) ويمر هذا المحور بدكة القرابين التي تقام عادة بعد ثلثي القاعة ، وتقام مائدة او مصاطب ، وبعض الأثاث الخاص بالطقوس الدينية مواجهة لجدار العمق ويقام بعضها على الجدارين المتوازيين[٩١].

وهناك من الباحثين من يرى ان هذه النمط المعماري للمعابد السورية يشابه إلى حد كبير ما موجود في معابد بلاد الأناضول وجزر بحر ايجة[٩٢].

ومع كل تلك الأعمال التنقيبية التي جرت في المدينة فان الأمل يبقى قائماً في العثور على بقايا المدينة التي تعود إلى الألف الثالث ق.م والتي ذكرتها النصوص الكتابية لتلك المرحلة التاريخية والتي جاءتنا من ايبلا وماري ومن موقعها بالذات ، إلا ان النصوص الكتابية الحثية والحورية التي تتحدث عن هذه المدينة فإنها إذا ما تكامل نشرها ستزيد من معرفتنا بتأريخ وحضارة وأهمية ايمار التي بقيت ماثلة للعيان حتى هجرت نهائياً زمن الغزو المغولي[٩٣] حالها حال المدن التاريخية العديدة التي لعبت دوراً حضارياً مميزاً بحكم موقعها الجغرافي الذي يعطي لها خصوصية لمرحلة زمنية تترك فيها تلك المدن بصماتها على واجهة التأريخ على مر الأجيال.

المختصرات الورادة في البحث.

MDA., Labat , R. Manual D'epigraphie Akkadienne. Paris. 1976.
RGTC: Repertoire Geographique des Texts Cuneiformes.
RLA: Reallexikon der Assyriologie, (Berlin).

[٩١] احمد ، محمود عبد الحميد وآخرون ، المصدر السابق ، ص٣٢٠.
[٩٢] انظر : جاموس ، بسام ، المصدر السابق ، ص١١٢.
[٩٣] البعثة الفرنسية ،المصدر السابق، ص١٨٢.

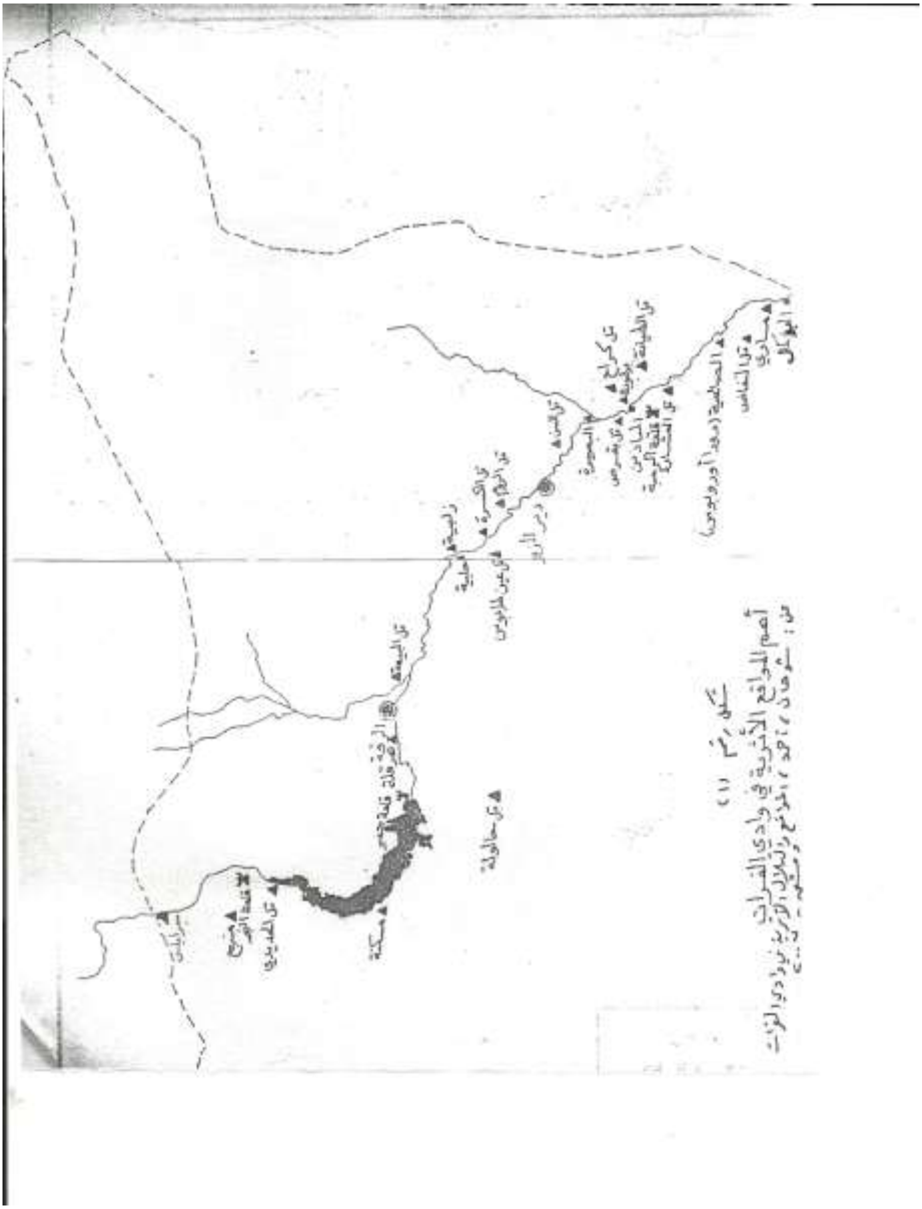

شكل رقم (١)
أهم المواقع الأثرية في وادي الفرات

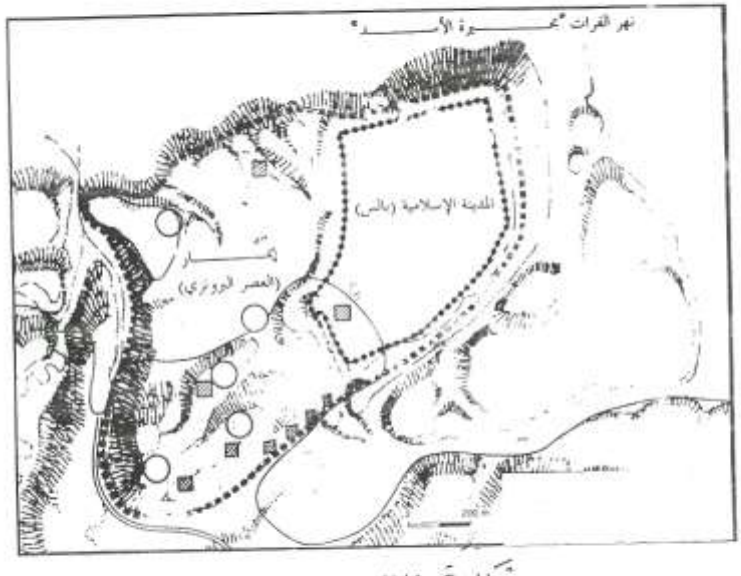

شكل رقم (٣)

مخطط عام لموقع ايمار (تل مسكنه)

يظهر فيه مراقع التنقيبات الفرنسيه ○

ومواقع التنقيبات السوريه والسوريه الالمانيه ▨

عن: اسماعيل، فاروق، دراسات تاريخية، ٩٧-٩٨، دمشق ١٩٧٠.

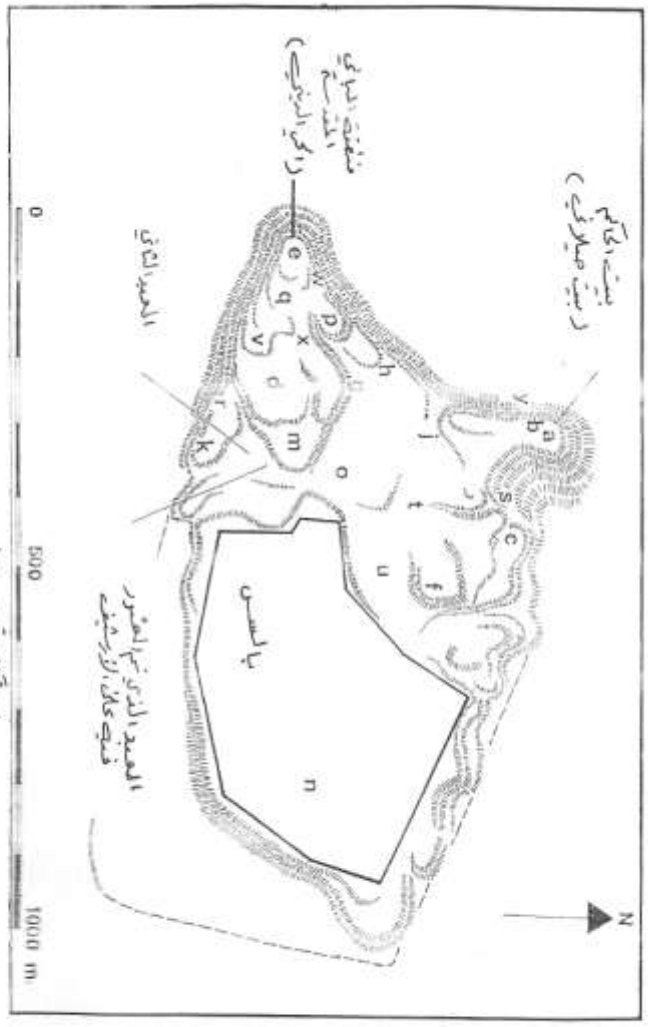

(شكل رقم ٥)
مخطط يبين موقع ايمار وأهم مكتشفاتها المعبد الثاني الزجاجيات فيه
عن: الطريق الى ايمار في سوريا، الرئاسة العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٩٨٩، (بتصرف)

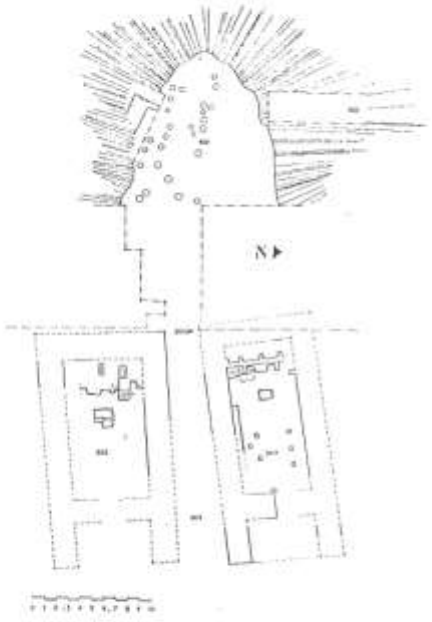

شكل رقم (٤)
قلعة بيرة السفلية في معبدي بعل في الجنوب وقشارة في الشمال
من مدينة ايمار .
عن : R.L.A.B, Bodin, 1993